حتى النصر – السيوف الحديدية[1]

عروبة تُرجمان

كيف تبدو صورة النصر في عيون الإسرائيليين؟ ولِمَ توجد فجوة بينها وبين نقطة النهاية المحتملة للحرب في قطاع غزة؟

يواصل كبار المسؤولين الإسرائيليين تأكيد أن إسرائيل ستواصل القتال في قطاع غزة "حتى النصر"، لكن السؤال حول ما الذي سيعدُّه الجمهور انتصارًا في هذه الحملة العسكرية ما يزال مفتوحًا. يدَّعي هذا المقال، استنادًا إلى استطلاعات ودراسات استقصائية أجراها معهد دراسات الأمن القومي وتحليل وسائل الإعلام والخطاب العام في إسرائيل[2]، أن ثمة فجوة بين التوقعات بصورة واضحة للنصر، ونقطة النهاية المحتملة الفعلية. ينبع جزء من هذا التفاوت من انعدام الصلة بين المفاهيم التي تميز الصراعات بين الدول من ناحية والصراع مع منظمة غير تابعة لدولة من ناحية أخرى. إضافةً إلى ذلك، فإن هذه الفجوة نتاج أهداف محددة بشكل غامض، والتي تغيرت أيضًا طوال فترة الحرب، ما أدَّى إلى

[1] "عوفر شيلح" و"أنيتا شابيرا" و"عيديت شفران جيتلمان"، עד לניצחון – חרבות ברזל، INSS، 2024/1/31، https://www.inss.org.il/he/publication/victory/.

[2] اعتمدت هذه الاستطلاعات على عينة تمثيلية تضمنت نحو 500 مشارك من السكان اليهود البالغين في إسرائيل. وكانت هذه الاجتماعات تُعقد أسبوعيًا في الفترة ما بين 12 تشرين الأول/أكتوبر و31 كانون الأول/ديسمبر، بقيادة مكتب تحليل بيانات تابع لمعهد دراسات الأمن القومي "INSS". نُفِّذ العمل الميداني من قبل معهد "رافي سميث"، حيث جرى سؤال المشاركين عبر استبيانات عبر الإنترنت. تضمن مزيج الاستبيانات سلسلة من الأسئلة المتسقة بالإضافة إلى أسئلة متناوبة حول مجموعة متنوعة من الموضوعات التي تتغير كل أسبوع. كان هامش الخطأ لكل عينة -/+ 4% عند مستوى ثقة 95%.

خلق وتأجيج خلافات وحالة عدم يقين بشأن الإنجازات الضرورية المطلوبة. ويجب أن نضيف إلى ذلك حقيقة أن الهدفين المعلنين للحرب (تأمين عودة المخطوفين وتدمير/تفكيك "حماس") لا يسيران جنبًا إلى جنب بالضرورة. وثمة صعوبة في التمييز بين النصر الفعلي وخلق شعور بالنصر لدى الجمهور، ما سيجعل من الصعب إعلان النصر. ومن أجل تجنب خطر الغرق في المنطقة دون استراتيجية خروج واضحة منظمة ومواصلة القتال دون فهم جيد للهدف الأساسي –الأمران اللذان يمكن أن تكون لهما عواقب وخيمة على الجيش والمجتمع الإسرائيلي– ثمة حاجة إلى وجود قيادة شفافة وصادقة تقول الحقيقة، وتنقل للجمهور بوضوح وبكل صدق وأمانة الحقائق والبدائل والخيارات المتخذة.

في 24 كانون الأول/ديسمبر، أي في الأسبوع الحادي عشر من الحرب، قال رئيس الوزراء، "بنيامين نتنياهو": "نعمل على تعميق الحرب في قطاع غزة. إن للحرب ثمنًا، وثمنًا باهظًا جدًّا في حياة مقاتلينا الأبطال، ونحن نبذل قصارى جهدنا من أجل الحفاظ على حياة مقاتلينا. لكن ثمة شيء واحد لن نفعله: لن نتوقف حتى نحقق النصر". جاءت تصريحاته على خلفية أيام طويلة من "التخبط" في قطاع غزة، حيث تتكرر التقارير اليومية عن خسائر في صفوف المقاتلين وتأكيد مقتل مختطفين، إلى جانب صعوبة الإشارة إلى إنجازات كبيرة وقابلة للقياس في الحملة ضد قطاع غزة. كما أن تعهُّد رئيس الوزراء بأن الحرب لن تتوقف حتى تحقيق النصر كان موجَّهًا أيضًا إلى الخطاب العام الإسرائيلي –الداخلي والخارجي– الذي ركَّز على غرض هذه المرحلة من القتال، وضرورة التوحُّد قبل نهاية هذه المرحلة الأهم في البلاد، إلى جانب المخاوف التي أعربت عنها بعض شرائح المجتمع الإسرائيلي بشأن ضرورة وقف القتال مقابل عودة المختطفين.

حتى الانتقال إلى المرحلة الثالثة من الحملة، بعد أسابيع قليلة، على الرغم من أنه لم يعلن عنها، كان مصحوبًا بوعود للجمهور بأنها لا تعني نهاية الحرب وبأن الحرب ستستمر وأنه لن يكون هناك وقف للقتال حتى تحقيق أهدافه. وفي خطابه بمناسبة مرور مِائة يوم على الحرب، كرَّر "نتنياهو" التأكيد: "سنواصل الحرب حتى النهاية، حتى النصر الكامل، حتى نحقق كل أهدافنا: القضاء على "حماس"، وعودة جميع مختطفينا، والوعد بأن غزة لن تشكِّل أبدًا تهديدًا لإسرائيل".

ندَّعي في هذا المقال أنه بينما يلبي شعار "حتى النصر" المطلب الشعبي العام بهزيمة "حماس"، تماشيًا مع الوعود والتصريحات التي قُطِعَت له منذ اليوم الأول للحرب، فإن ثمة فجوة بين التوقعات بصورة واضحة للنصر من ناحية ونقطة النهاية الممكنة المحتملة الفعلية من ناحية أخرى. ترجع هذه الفجوة جزئيًّا إلى انعدام صلة المفاهيم المستخدمة التي تميز الصراعات بين الدول بالصراع مع خصم غير دولة. هذه الفجوة أيضًا نتاج تعريف غامض للأهداف (على الرغم من أنها محددة بشكل أكثر وضوحًا مما كان الأمر عليه في الحملات العسكرية السابقة)، والذي تغيَّر على مدار الحرب وخلق خلافات وحالة انعدام يقين بشأن الحرب والإنجازات المطلوبة. ويجب أن نضيف إلى ذلك حقيقة أن الهدفين المعلنين للحرب (عودة المخطوفين، وتدمير/تفكيك "حماس") لا يسيران جنبًا إلى جنب بالضرورة. إضافةً إلى ذلك، ثمة صعوبة في

التمييز بين حقيقة النصر الفعلي وخلق شعور بالنصر لدى الجمهور، ما سيجعل من الصعب إعلان النصر. وتستند هذه الادعاءات إلى تحليل نتائج الاستطلاعات التي أجراها معهد دراسات الأمن القومي (INSS) في الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب، بالإضافة إلى فحص وتحليل الخطاب العام والإعلام في إسرائيل.

وفي مثل هذا الواقع، الذي يتسم بالالتزام بمواصلة الحرب حتى تتحقق أهدافها من ناحية، وانعدام القدرة على تحقيق هذه الأهداف كما هي معروضة على الجمهور وخلق شعور بالنصر من ناحية أخرى، يوجَد خطر الغرق في المنطقة دون استراتيجية خروج واضحة منظمة وخطر مواصلة القتال دون فهم ماهية الهدف الأساس منه، وقد تكون لمثل هذا السيناريو عواقب وخيمة على الجيش والمجتمع الإسرائيلي.

مفاهيم قديمة، حرب جديدة

على مدى العقود القليلة الماضية، ومع انتهاء الحرب الباردة وتراجع خطر الحروب بين الدول (حتى الحرب الروسية الأوكرانية في العام 2022)، بدأ التفكير العسكري الغربي في التركيز على مسألة النصر في الحملات ضد الجهات الفاعلة من غير الدول –المنظمات والجماعات الإرهابية والعصابات و"الجيوش الهجينة" التي ظهرت وتطورت في أماكن كثيرة، بما في ذلك بعضها على طول حدود إسرائيل. وفيما يتعلق بمواجهة مثل هذا العدو، بدا أن المفاهيم الأساسية التي كانت تُستَخدَم بشكل جيد في زمن الصراعات بين الدول، بما في ذلك "الردع والإنذار والهزيمة"، والتي كانت تشكِّل أساس مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي، قد فقدت صحتها وصلاحيتها. وأصبح الوضع أكثر تعقيدًا عندما لم تتغير أنظمة الدولة، بما في ذلك المستويات السياسية والقوة العسكرية. لقد كُرِّسَ الفكر والجهد التنظيمي والمفاهيمي بالكامل لإيجاد سبل يمكن من خلالها تكييف الأدوات القديمة مع الصراعات الجديدة. ومن الصعب القول إن أي دولة غربية، بما في ذلك الولايات المتحدة والتحالفات المختلفة التي قادتها، إلى جانب إسرائيل، قد حقَّقت أي نجاح حقيقي في تنفيذ ذلك.

في كتابه "فائدة القوة" (2007)، يدَّعي الجنرال البريطاني "روبرت سميث" أن جزءًا من الصعوبة ينبع من أن الخطاب السياسي والإعلامي الذي يصاحب الحرب منذ بدايتها ما يزال مؤطَّرًا على أنه صراع بين الدول. وفقًا لـ"سميث"، فإن هذا دليل على الارتباك في فهم فائدة القوة. وعند الدخول في صراع، فإن جميع النوايا المعلنة تتضمن أهدافًا استراتيجية واضحة تتمثل بـ"الذهاب إلى الحرب" بالمعنى الصناعي، لكن الإجراءات والنتائج كلها دون استراتيجية وتشير إلى عالم الصراع والصراع المسلح. ويفترض أن وسائل الإعلام أيضًا ما تزال أسيرةَ تصوُّر نموذج الحرب الصناعية، ولا تدرك أو تعترف بحقيقة أن هذه الآن حرب بين الناس. وبعبارة أخرى، يُحدَّد تعريف النصر في الحرب (المزيد عن التمييز بين "الانتصار" و"الهزيمة" لاحقًا) من قبل السياسيين، ويُنقَل بوساطة وسائل الإعلام باستخدام مصطلحات مألوفة من الحروب "العظيمة"، مثل: "السقوط" أو "الهزيمة"، ومصطلحات العمل من الناحية المادية: غزو الأراضي، أو قتل الأعداء، أو

تدمير المدينة. لكن عندما تتفكَّك كتيبة من جيش إرهابي أو من عصابات "انهارت" إلى مئات الفرق التي تواصل القتال في ظل ظروف تناسبها وأكثر ملاءمة لها، يتحول احتلال الأرض والبقاء فيها بمرور الوقت من طريق للهزيمة إلى مشكلة في حد ذاتها (على سبيل المثال: احتلال إسرائيل جنوبي لبنان)، وتدمير مدينة يستخدمها العدو في حربه النفسية ضد قوة أقوى منه. كما ينظر الجمهور في الدولة –في هذه الحالة الجمهور الإسرائيلي– إلى "السقوط" و"الهزيمة" على أنها عبارات فارغة يصعب تصوُّر كيفية تحقيقها الفعلي على أرض الواقع.

بدأت المناقشات حول هذه المفاهيم في جيش الدفاع الإسرائيلي في التسعينيات، ما أدى إلى مناقشات بين كبار الضباط والخبراء الخارجيين في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، مثلما حدث في مؤتمر بعنوان "بين القرار والنصر" الذي عُقِدَ في جامعة حيفا في كانون الثاني/يناير 2001. عقد العديد من رؤساء الأركان "ورش عمل حول النصر"، ناقش فيها كبار الضباط ومسؤولي الجيش التعريفات التي ستوجِّه أعمالهم. وفي وثيقة **استراتيجية جيش الدفاع الإسرائيلي** (2015)، أشار رئيس الأركان في ذلك الوقت، "غادي أيزنكوت"، إلى "النهج الحاسم" الذي "يهدف إلى تغيير الوضع الاستراتيجي" والذي "سيُعبَّر عنه من خلال عجز العدو أو عدم رغبته في العمل ضدنا أو كليهما، وفي عدم القدرة على الدفاع عن النفس"، وأضاف أن التوقعات من الجيش الإسرائيلي تتمثل بتحقيق "نصر سريع وحاسم".

انعكست صعوبة تعريف/تحديد النصر ضد منظمة إرهابية واضحة بالفعل في العمل العسكري للجيش في خلال الانتفاضة الأولى في العام 1987، عندما نُسِب لرئيس الأركان، "دان شمرون"، قولُه إنه "ليس ثمة حل عسكري" للتمرد ردًّا على الانتفاضة. أصبح هذا التحدي أكثر وضوحًا في الحملات العسكرية في خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، من حرب لبنان الثانية إلى جولات المواجهة والصراع في قطاع غزة. في العام 2006، حدَّد رئيس الوزراء، "إيهود أولمرت"، في خطابه أمام الكنيست في 17 يوليو من ذلك العام، خمسة أهداف لحرب لبنان الثانية: "تنفيذ قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 1559، وإعادة الجنديين المختطفين ("إيهود غولدفاسر" و"إلداد ريغيف") دون قيد أو شرط، وتفكيك "حزب الله" ووقف التهديد بإطلاق الصواريخ على إسرائيل، ونشر الجيش اللبناني على طول الحدود مع إسرائيل وتطبيق سيادة الحكومة اللبنانية كامل أراضيها". وعلى الرغم من أنه كان من الواضح أنه لم يكن للقتال القدرة على تحقيق هذه الأهداف (فيما يتعلق بعودة المختطفين، فقد أُخبِر "أولمرت" صراحةً بأنهم لن يعودوا، فأجاب بأنه كان يدرك بالفعل أنه من المستحيل إعادتهم عن طريق القتال، لكنه يجب أن يقدِّم ذلك الهدف من منطلق القيم ولأسباب أخلاقية)، أشادت وسائل الإعلام الإسرائيلية بخطاب "أولمرت"، حتى أن "إيتان هابر" كتب في "**يديعوت أحرونوت**" أنه "لو لم يكن التصفيق محظور في قوانين الكنيست، فعلى الأرجح أنه في نهاية الخطاب الأول لرئيس الوزراء في خلال الحرب، كان سيصفق أعضاء الكنيست له تصفيقًا حارًّا".

خيبة الأمل من نتائج الحرب، التي كلفت "أولمرت" خسارة جزء كبير من الدعم الشعبي له وأدت إلى إقالة رئيس الأركان وقائد القيادة الشمالية من موقعيهما، كانت واضحة في تصريحات خلفائهم في مختلف الحكومات في خلال جولات القتال اللاحقة في قطاع غزة، وهكذا أصبح الجمهور الإسرائيلي يألَف تعريفاتٍ غامضةً مثل "إنَّ "حماس" مسيطِرة، لكنها مردوعة ومقيدة" في خلال عملية "الجرف الصامد"، وهكذا كان كل تصريح متغطرس لسياسي أو إعلامي يُستقبَل بدرجة من السخرية من قبل الجمهور. في دولة نشأت على أسطورة النصر الحاسم في حرب الأيام الستة، وتغير الوضع العسكري بعد مفاجأة حرب يوم الغفران، تزايد توقعات الجمهور بـ"انتصار سريع وحاسم" على الأعداء أضعف بكثير من الجيوش المصرية والسورية في ذلك الوقت، ولم تختفِ، ولم تزِد إلا من الإحباط الشعبي عندما لم تتحقق.

إضافةً إلى ذلك، في الحرب ضد المنظمات الفاعلة ما دون الدولة، مثل "حماس" أو "حزب الله"، ينبغي أن يكون مفهومًا أنه بالنسبة لمثل هذه المنظمات، نظرًا إلى انعدام التكافؤ في القوة والقدرات بينها وبين إسرائيل، فإن مجرد حقيقة أن المنظمة صامدة وترفض أن تستسلم لإسرائيل يشكِّل انتصارًا في نظرها. وكما أوضح المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي في 30 كانون الأول/ديسمبر، فإن "حماس" وقادتها يفكرون في إطار مفهوم "الصمود" ويتمسكون به–وهو مفهوم عربي. كما أن التصور العام بين السكان المحيطين بهذه المنظمات مثل "حماس"، أو الذين تعمل معهم أو تستهدفهم، يدعم هذا الرأي ويسمح لها بتضخيم إنجازاتها. وفي المقابل، يتناقض هذا مع توقعات الجمهور الإسرائيلي بتحقيق النصر، التي تتعزز أيضًا بفعل التصريحات التي يدلي بها قادة إسرائيل وكبار ضباط الجيش بأن "حماس" ستُهزَم هزيمةً كاملة، إذ يؤدي هذا التوقع –في ظل طبيعته غير الواقعية– إلى الإحباط ويخلق واقعًا تكون الخسارة فيه شبه مؤكَّدة.

"معًا سننتصر"

على الرغم من –وربما بسبب– الفشل العسكري الواضح المروع وغير المسبوق في منع الهجوم المفاجئ الذي شنته "حماس" في 7 تشرين الأول/أكتوبر، والصور الصادمة التي تعرض لها الجمهور الإسرائيلي على الفور عبر شبكات الإعلام الاجتماعي، فإن المشاعر العامة التي سادت مباشرة بعد اندلاع الحرب كانت تحمل توقعًا واضحًا بأن جيش الدفاع الإسرائيلي سينتصر في الحرب وسيهزم "حماس" بشكل حاسم. عكس الخطاب العام هذا الشعور وفي الحملة العامة "سوف ننتصر"، التي انطلقت بشكل غير رسمي إلى جانب حملة من أجل الوحدة حملت شعار "معًا سننتصر"، والتي ربطت التوقع الواضح بتحقيق نصر لا لبس فيه بالرغبة في إعادة تأهيل المجتمع الإسرائيلي بعد الخلاف السياسي الشديد والشرخ الاجتماعي الحاد الذي حدث طوال العام 2023. وقد انعكس هذا التصور في نتائج المسوحات والدراسات الاستقصائية التي أجريت منذ الأسبوع الأول من الحرب، وأشارت إلى أن المناخ العام يتمثل بأن "جيش الدفاع الإسرائيلي سينتصر" (انظر الشكل 1).

الشكل 1: هل سيفوز جيش الدفاع الإسرائيلي بالحرب؟

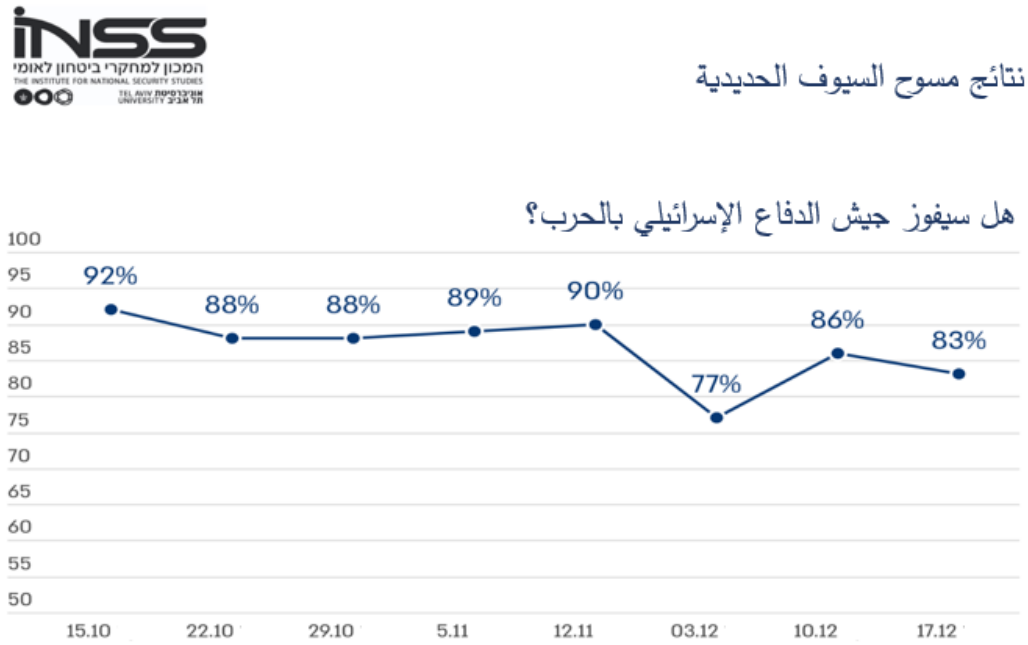

يعكس هذا المناخ في المقام الأول الشعور العام وحاجة الجمهور الإسرائيلي إلى الاعتقاد بأن جيش الدفاع الإسرائيلي سينتصر، خاصة في ضوء رعب 7 تشرين الأول/أكتوبر وحاجة مواطني الدولة إلى الشعور بالأمن والحماية والدفاع. ومع ذلك، فإنَّ ذلك لا يعكس بالضرورة تقييمًا مدروسًا ومنطقيًّا متوازنًا ومعقولًا لقدرات الجيش، ولا فهمًا شاملًا وعميقًا لما هو مطلوب من أجل تعريف نهاية الحرب على أنها "انتصار". هذا الشعور المألوف المتأصل بعمق والذي ميَّز دائمًا الجمهور الإسرائيلي طوال تاريخ إسرائيل ويتجلى في ارتفاع مستوى الثقة على مر السنين في مؤشرات الثقة العامة في جيش الدفاع الإسرائيلي (انظر، على سبيل المثال، مؤشر الثقة الخاص بالمعهد الإسرائيلي للديمقراطية) الذي يعبِّر تقليديًّا عن الثقة العالية في الجيش فيما يتعلق بقدرته على الاضطلاع بمهامه التشغيلية العملياتية (مقارنةً بمؤشرات ثقة منخفضة فيما يتعلق بالشؤون الداخلية). يمكن العثور على المؤشرات إلى ذلك في حقيقة أنه طوال فترة الاستطلاعات، لوحظت فجوات كبيرة بين ارتفاع نسبة المستطلعة آراؤهم الذين يعتقدون أن جيش الدفاع الإسرائيلي سينتصر، وانخفاض نسبة أفراد العينة الذين يعتقدون أن أهداف القتال في غزة ستتحقق أو أن التهديد الأمني في النقب الغربي سيزول بالكامل أو سينخفض (انظر الشكل 2). لذلك، من المهم أن نفهم ما هو هذا الانتصار، الذي تشير الحملات الإعلامية والشعور العام إلى أننا يجب أن نحققه معًا، وكذلك تحديد كيف سنعرف أننا حققناه بالفعل.

الشكل 2: هل سينتصر جيش الدفاع الإسرائيلي في الحرب، وهل ستتحقق الأهداف، وهل سيُزال التهديد؟

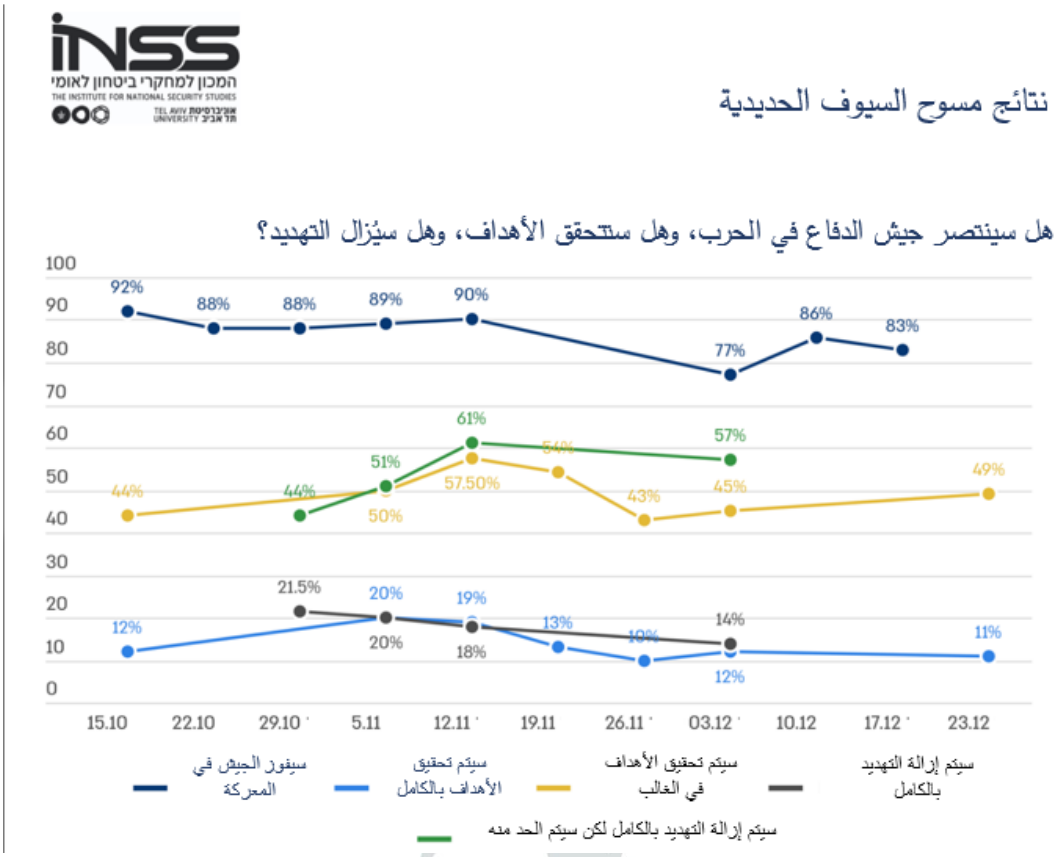

أهداف الحرب

إحدى الطرق المقبولة لتحديد النصر في حملة عسكرية تتعلق بتحقيق أهدافها. وبخلاف جولات القتال السابقة ضد "حماس"، حيث كانت أهداف الحرب غالبًا غامضة –مثل "استعادة الردع"– حُدِّدَت أهداف حملة "السيوف الحديدية" منذ البداية، على الرغم من أن تعريفها خضع لعدة تغييرات بمرور الوقت. وفي الأيام الأولى للحرب، كان هدفها المعلَن تدمير "حماس". لقد جرى التوضيح مرارًا وتكرارًا أن هذه ليست جولة قتال أخرى أو عملية لاستعادة الردع، بل الهدف إسقاط التنظيم الإرهابي والقضاء التام عليه وتدميره. وفي مساء 7 تشرين الأول/أكتوبر، قال رئيس الوزراء، "نتنياهو": "سيستخدم جيش الدفاع الإسرائيلي على الفور كامل قوَّته لتدمير قدرات "حماس". سنضربهم إلى حد الدمار وسننتقم بقوة لهذا اليوم الأسود الذي جلبوه على دولة إسرائيل ومواطنيها". وفي خطابه أيضًا في خلال أداء اليمين الدستورية لحكومة الطوارئ التي أدخلت حزب "معسكر الدولة" إلى الائتلاف الحكومي[3]، ركَّز "نتنياهو" على تدمير "حماس" والإطاحة بها، وأكد: "سنقاتل بكل قوتنا القتلة الملعونين، والوحوش المفترسة، سنهزمهم، سنبيدهم، وسنمحوهم من على وجه الأرض. وفي الوقت ذاته سنعيد بناء المستوطنات التي دمرت، وسنعيد المناطق الحدودية في غزة، إلى أرض مزدهرة وجميلة".

[3] انظر: https://www.gov.il/he/departments/news/event-speech121023.

شهد موقع وأهمية مسألة المختطفين في قائمة الأهداف الحربية تغيرًا كبيرًا مع مرور الوقت، ما يدل على تأثير الرأي العام والدعم الإعلامي للحملة التي نفَّذها أهالي المختطفين، وحتى التغيرات السياسية. في التصريحات الأولية لرئيس الحكومة لم يَرد ذِكرٌ لهذه القضية، وفي 16 تشرين الأول/أكتوبر، أي بعد تسعة أيام من بدء الحرب، أقرَّ مجلس الحرب (الذي شُكِّل قبل أيام قليلة عند دخول "معسكر الدولة" إلى الحكومة) أربعة أهداف للقتال، ووفقًا للتقارير الإعلامية، تتمثل الأهداف بما يلي:

1. الإطاحة بحكم "حماس" وتدمير قدراتها العسكرية.
2. إزالة التهديد الإرهابي من قطاع غزة تجاه إسرائيل.
3. بذل أقصى جهد ممكن لحل مسألة الرهائن.
4. حماية حدود البلاد ومواطنيها.

إن استخدام عبارة "أقصى جهد ممكن" لا يُترجَم إلى الالتزام بأن عودة المختطفين ستكون على رأس الأولويات والاعتبارات في عملية صنع القرار (وأكثر من ذلك، أشارت تصريحات عديدة في وسائل الإعلام إلى وجود تناقض داخلي بين هزيمة "حماس" وسلامة وعودة المختطفين). ومع مرور الوقت وتزايُد الضغط الشعبي العام، أصبحت التصريحات في هذا الشأن واضحة لا لبس فيها: أهداف الحرب تتمثل بالقضاء على "حماس" والإطاحة بها وعودة المختطفين إلى إسرائيل.

وهكذا، على سبيل المثال، في 20 كانون الأول/ديسمبر (في الأسبوع العاشر من الحرب)، قال رئيس الوزراء: "لن نتوقف عن القتال حتى نحقق جميع الأهداف التي حدَّدناها: القضاء على "حماس"، وإطلاق سراح رهائننا، وإزالة التهديد من غزة". كما أدلى وزير الدفاع، "يوآف غالانت"، بعدة تصريحات على هذا المنوال. بعد الحادث الذي أطلقت فيه قوة من جيش الدفاع الإسرائيلي النار عن طريق الخطأ على مختطفين تمكنوا من الفرار من الأسر في أحد المواقع في غزة، قال وزير الدفاع، "غالانت": "سنواصل العمل حتى نحقق أهداف الحرب: الإطاحة بحكم "حماس" وعودة جميع المختطفين". وعلى المستوى العسكري أيضًا، أشار كل من رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي والمتحدث باسم الجيش بشكل متكرر إلى الهدفين المذكورين وهما الإطاحة بـ"حماس" وعودة جميع المختطفين من أَسر "حماس".

إن التغييرات التي طرأت على تحديد الأهداف تعكس التكيف مع اتجاهات الرأي العام. ومع ذلك، على الرغم من أن الأهداف تبدو محدَّدة ومركَّزة، ما تزال توجد صعوبة كبيرة في فهم ما تتضمنه بالضبط. في الأسبوع الرابع من الحرب، تساءلنا في استطلاع أجراه معهد دراسات الأمن القومي (INSS) عما يمكن عَدُّه إنجازًا في تحقيق أهداف الحرب (انظر الشكل 3). وكانت الإجابة الأكثر شيوعًا بين أفراد العينة هي التصفية الجسدية لقادة "حماس" ومعظم الجناح العسكري (36%). كان الرد الثاني الأكثر شيوعًا عودة المختطفين (26%) والثالث تشكيل حكومة بديلة في غزة (19%). وفي

المركز الرابع والأخير كان الجواب إلحاق أضرار جسيمة بوسائل الحرب التابعة لـ"حماس" بما في ذلك الأنفاق ومخابئ الأسلحة والصواريخ (13%). ومع استمرار الحرب، بدا أن الخطاب العام يركز على هدفين من أهداف الحرب: عودة المخطوفين والإطاحة بحكم "حماس".

الشكل 3: في رأيكم، ما الإجراءات التالية التي يمكن اعتبارها تحقيقًا لأهداف الحرب؟

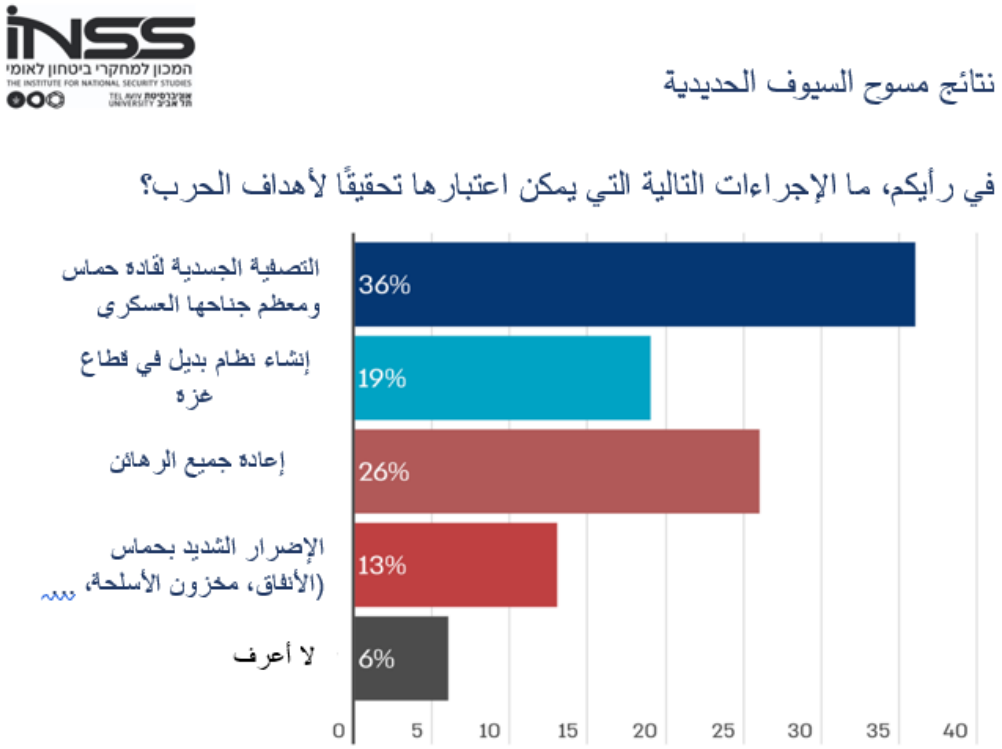

منذ بداية الحرب، كان ثمة جدل حول المعنى الدقيق لـ"إسقاط" "حماس". وحتى فيما يتعلق بهدف عودة المختطفين، والذي يبدو أكثر وضوحًا وتحديدًا ظاهريًا، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما المقصود بمعنى ذلك بالضبط. لتوضيح ذلك وفي تحديد هذا الهدف –إلى أي مدى ينبغي لإسرائيل العمل على أساس إعادة المختطفين **أحياء**– كان من الواضح أن بعض الرهائن الذين تحتجزهم "حماس" (غير معروف عددهم) قد لقوا حتفهم بالفعل في 7 تشرين الأول/أكتوبر، ومع مرور الوقت سوف يكون هذا هو الحال بالنسبة لمزيد من المختطفين. وحتى 15 كانون الثاني/يناير أفادت التقارير بأن عشرين من المختطفين قد لقوا حتفهم في أثناء أَسرهم، وحتى منتصف شباط/فبراير أفادت التقارير بأن ما لا يقل عن ثلاثين من

المختطفين قد لقوا حتفهم، وأن الحملة التي ينفِّذها الأهالي من أجل إطلاق سراحهم تؤكد أكثر فأكثر حقيقةَ أن كل يوم إضافي في الأسر يعرِّض حياتهم للخطر.

يؤكد الخطاب الرسمي لدولة إسرائيل أنها ملتزمة بإعادة جثامين جنودها ومدنييها لمنح اليقين لعائلاتهم، كما ذُكِر مرارًا وتكرارًا فيما يتعلق على سبيل المثال بجثتَي "هدار غولدن" و"شاؤول أرون" اللذين تحتجز "حماس" جثتيهما. وتشير الإجراءات التي اتخذها جيش الدفاع الإسرائيلي في الحملة الحالية أيضًا إلى أنه ملتزم بإعادة الجثامين ويعمل لتحقيق هذه الغاية. لكن، في هذه المرَّة، وللمرَّة الأولى، تواجه إسرائيل معضلة يجب أن تعالجها: إلى أي مدى تشكِّل سلامةُ المختطفين الأحياء، أو أولئك الذين ليس يعرف مصيرهم، قيدًا على طريق القتال.

عندما سألنا المستطلَعة آراؤهم في الاستطلاع الذي أجري في 17 كانون الأول/ديسمبر، بعد ستة أسابيع من الحرب، "هل تتفق أم لا تتفق مع الجملة التالية: "على الجيش الإسرائيلي أن يفعل كل ما في وسعه –بما في ذلك تعريض الجنود للخطر– من أجل إعادة المختطفين أحياءً أو أمواتًا؟"" (انظر الشكل 4)، أجاب 13% فقط من أفراد العينة بأنه يجب تعريض الجنود للخطر من أجل عودة المختطفين، بغض النظر عما إذا كانوا على قيد الحياة أو لا. في المقابل، يعتقد نحو نصف المستطلعة آراؤهم (49.8%) أنه يجب تعريض الجنود للخطر من أجل إعادة المختطفين فقط في حال كان المختطفون على قيد الحياة. بناءً على ذلك، وحتى فيما يتعلق بهذا الهدف، الذي يحظى بتأييد عام ودعم شعبي واسع النطاق، من الواضح أن ثمة نوعًا من الغموض/انعدام الوضوح فيما يتعلق بمعناه الدقيق والتصور العام له والطريقة التي ينظر بها الجمهور إليه.

الشكل 4: هل توافق أو لا توافق على البيان التالي: ينبغي لجيش الدفاع أن يبذل كل ما في وسعه، بما في ذلك تعريض حياة الجنود للخطر، لإعادة الرهائن، سواءٌ كانوا أحياءً أو أمواتًا؟

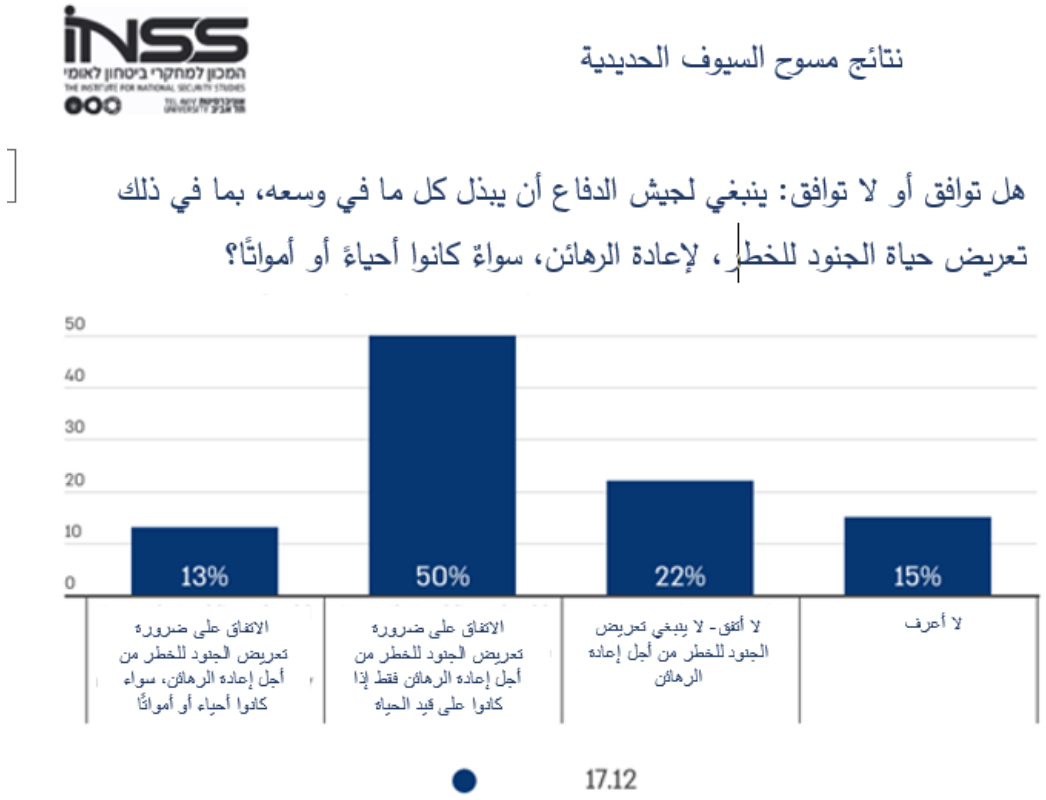

إن هدفَ تدمير "حماس" والإطاحة بها هدفٌ أكثر غموضًا، إذ ليس من الواضح كيف سيكون من الممكن قياس تحقيقه، لأن هذا الهدف يتضمن مكوناتٍ متعددة (القضاء على قيادة "حماس"، وحرمانها من قدراتها العسكرية، وحرمانها من قدراتها الحكومية، وما إلى ذلك). إضافةً إلى ذلك، ثمة صعوبة متأصلة في تحديد هزيمة التنظيمات والجماعات الإرهابية، الأمر الذي لا يتماشى تمامًا مع المفهوم التقليدي للهزيمة المتعلقة بجيوش العدو. إضافةً إلى ذلك، إن عدم وجود هزيمة عسكرية بالمعنى التقليدي يسمح لـ"حماس" بتعزيز إنجازاتها وبالمبالغة في أهمية تلك الإنجازات. لأن "حماس"، بوصفها منظمة إرهابية، لا تطمح إلى هزيمة إسرائيل. وبالنسبة لها، كل يوم تستمر فيه "حماس" بالصمود ولا تستسلم لإسرائيل يشكِّل انتصارًا لـ"حماس". ويعكس التصور العام لدى السكان المحيطين بها والذين تستهدفهم "حماس" أيضًا هذا المنظور ويسمح لها بتعزيز إنجازاتها وتأكيد تلك الإنجازات، في المقابل، فإن التوقع الإسرائيلي بضرورة هزيمة العدو تمامًا يسبِّب شعورًا باليأس والإحباط في مواجهة عدم تحقيق إنجاز. وتَعُدُّ "حماس" عدم قدرة إسرائيل على التوصل إلى هزيمة عسكرية بمثابة انتصار. وكلما زادت إسرائيل من نشر القوة العسكرية، وكلما طال أمد الحملة، كان إنجازها أقوى.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين الأهداف وترتيب أولوياتها، فعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الحكومة والمؤسسة الأمنية للادعاء بأن أهداف الحرب تدعم وتكمل بعضها، وأن زيادة الضغط العسكري على "حماس" يَخدم أيضًا هدف إعادة المختطفين، فلدى الجمهور –وخاصة بين معظم عائلات المختطفين في المقام الأول– تصور واقتناع متزايد بأنه لن يكون من الممكن تحقيق هدفَي الحرب، وأنه لذلك لا بد من خلق ترتيب واضح للأولويات بين الهدفين. تعمق هذا الشعور وأصبح أقوى مع استمرار المناورة البرية في قطاع غزة، ومع تزايد التقارير عن مقتل مختطفين في الأسر. وقد انعكس هذا الفهم بأوضح صورة في اقتباس للوزير "غادي آيزنكوت"، الذي قال في أحد اجتماعات مجلس الوزراء: "علينا أن نتوقف عن الكذب على أنفسنا، وأن نتحلى بالشجاعة ونذهب إلى عقد صفقة كبيرة تعيد المختطفين إلى وطنهم. وقتهم ينفد وكل يوم يمر يعرض حياتهم للخطر. لا جدوى من مواصلة المشي بشكل أعمى على النمط نفسه الذي كنا نستخدمه بينما ما يزال المختطفون موجودين هناك. إنه وقت حرج لاتخاذ قرارات شجاعة، وإلا فليس لدينا سبب لوجودنا هنا. ولن يكون هناك ما نبحث عنه". ولا ينبغي أيضًا تجاهل أنه مع مرور الوقت، وخاصة بعد الاتفاق على إعادة معظم النساء والأطفال ووقف الأعمال العدائية الذي كان جزءًا منه، أصبح هذا التناقض جزءًا من جدل الهوية السياسية في إسرائيل، والذي عاد إلى طبيعته بكل قوة بعد فترة الصدمة الضيقة من أحداث 7 تشرين الأول/أكتوبر وعلى الرغم من حملة "معًا ننتصر". وشدد رئيس الوزراء، أمام عائلات المختطفين في جلسة خاصة للكنيست عقدت في 25 كانون الأول/ديسمبر، على كلمات الجنود وأفراد العائلات الثكلى الذين طلبوا منه "الاستمرار بكل قوته"، وفي اجتماعات مختلفة حتى أنه أُحضِرت عائلات معه ممثلة عن عائلات أخرى، زعموا أنه ممنوع وقف القتال حتى لو كان ذلك قد يؤذي أحباءهم. وفي تصريحات إعلامية مختلفة (خاصة في القناة 14) كانت ثمة محاولة لوصف المختطفين بأنهم "قضية يسارية" مقابل "الجنود" الذين يريدون النصر ومواصلة القتال ويدعمهم اليمين. نحن بحاجة إلى التوقف عن الكذب على أنفسنا، وإظهار الشجاعة، وعقد صفقة كبيرة تعيد الرهائن إلى الوطن. وقتهم ينفد وكل يوم يمر يعرض حياتهم للخطر.

كيف انعكس ذلك في استطلاعات "INSS"؟ في استطلاع أجري في 12 تشرين الثاني/نوفمبر، أي بعد وقت قصير من بدء المناورة البرية، أفاد نحو ثلثَي المستطلعة آراؤهم (66.2%) أن المناورة البرية في غزة تزيد من فرص عودة المختطفين. ومع ذلك، في استطلاع أحدَث أجريناه في 31 كانون الأول/ديسمبر، اعتقد 55.3% فقط من المشاركين أن هذا هو الحال. على الرغم من أنه ما يزال يعكس أكثر من نصف الجمهور (انظر الشكل 5)، فمن المرجح أن يستمر انخفاض الدعم العام للغزو البري، وكلما استمرت القضية في كونها محور الاستقطاب السياسي، زادت احتمالات تزايده، مع زيادة فرص إعادة الرهائن.

الشكل 5: هل يؤدي الغزو البري لغزة إلى زيادة أو تقليل فرص إعادة الرهائن؟

نتائج مسوح السيوف الحديدية

هل يؤدي الغزو البري لغزة إلى زيادة أو تقليل فرص إعادة الرهائن؟

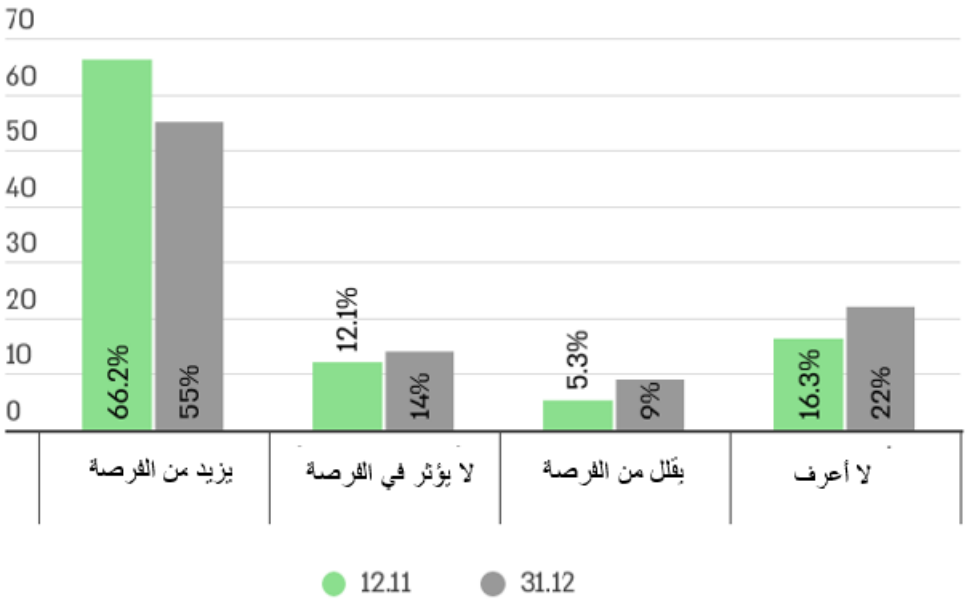

ونظرًا إلى ضرورة ترتيب الأولويات بين أهداف الحرب، فإن ثمة اتجاهًا للتغيير في الشعور العام تجاه طريقة ترتيب الأولويات جديرٌ بالملاحظة. عندما سألنا في استطلاع أجريناه في 17 كانون الأول/ديسمبر: "هل من المقبول بالنسبة لكم إعادة جميع المختطفين مقابل إطلاق سراح جماعي للأسرى الفلسطينيين، بمن فيهم المشاركون في مذبحة السابع من أكتوبر، ووقف الحرب؟"، أجاب نصف المستطلعة آراؤهم (50.2%) أن هذا الأمر غير مقبول عندهم، لكن هذا الرقم في اتجاه تنازلي، إذ إنه قبل أسبوعين، في 3 ديسمبر/كانون الأول، عارض أكثر من نصف المشاركين (60%) هذه الصفقة. وبالتالي، على الرغم من أن أغلبية الجمهور اليهودي الإسرائيلي في هذه المرحلة ما تزال تعطي الأولوية لتدمير "حماس" والإطاحة بها على حساب إعادة المختطفين، يبدو أن قطاعات أكبر من الجمهور الإسرائيلي مع مرور الوقت مستعدة لتغيير هذه الأولوية، إما لأن أولوياتهم قد تغيرت، أو لأنهم أصبحوا مقتنعين بأن هدفًا ما أكثر واقعية من الآخر.

بين النصر وصورة النصر

عند مناقشة مسألة النصر، ينبغي التمييز بين معنيين مختلفين للنصر: الأول النصر بالمعنى العسكري، أي يمكننا أن نتساءل إلى أيّ مدى حققت الحملة أهدافها كما قدَّمها المستوى السياسي إلى المستوى العسكري، وهذا المعنى قابل للقياس بقدر ما تكون أهداف الحرب وغاياتها قابلة للقياس، فعلى سبيل المثال: يمكننا أن نسأل عن النسبة المئوية لقوات "حماس" وبنيتها التحتية التي دمرت، وعدد المختطفين الذين أعيدوا، وإلى أي مدى ضعفت قوة "حماس" السياسية، وهكذا؛ والثاني يتعلق بمفهوم النصر، وتصوُّره وينقسم هذا المعنى أيضًا إلى قسمين: تصور داخلي للنصر لدى الجمهور الإسرائيلي، وتصور خارجي للنصر لدى أعداء إسرائيل الآخرين والطريقة التي يُنظر بها إلى إنجازات الحملة في الساحة الدولية ككل.

بالنظر إلى أن الجمهور الإسرائيلي ينظر إلى الحرب الحالية على أنها حرب وجودية، وأن أغلبية الجمهور يعتقد أنها حرب إسرائيل عادلة، وأن مذبحة 7 أكتوبر أزالت عن النقاش أي شكوك محتملة في عدالة الحرب وحول مستقبل إسرائيل، أصبحت الحاجة إلى النصر في هذه الحرب أكثر إلحاحًا مما كانت عليه في المواجهات السابقة. فبينما بدا في جولات القتال السابقة في قطاع غزة، على سبيل المثال، أنه حتى وإن لم يتحقق النصر بالمعنى الصريح للكلمة فإن ذلك لم يشكِّل أيَّ تهديد لدولة إسرائيل، فإن الجمهور ينظر إلى الحملة الحالية بطريقة مختلفة، ويتوقع في الحقيقة أن تستمر الحرب حتى تتحقق صورة النصر أو تتحقق إنجازات يمكن القول إنها تشكل انتصارًا في هذه الحملة.

يبدو أن تحقيق النصر العسكري في هذه الحملة في قطاع غزة أكثر تعقيدًا مما قُدِّم في البداية، في ضوء الصعوبات المتعلقة بتحقيق النصر على فاعلٍ دون الدولة. إضافةً إلى صعوبة التعامل مع استراتيجية "حماس" القتالية واستخدامها المكثف للأنفاق والمساحات تحت الأرض بدرجة تتجاوز ما قدَّرته إسرائيل وما كانت على عِلمٍ به قبل الحرب. كما أن الضغوط الدولية المتزايدة على إسرائيل تحد من أدوات الضغط التي يمكن أن تمارسها إسرائيل ضد "حماس".

ثمة خطر إضافي يتعلق بمسألة كيفية قياس صورة النصر العسكري وإمكانية قياسه، في ظل الرغبة في تقديم الإنجازات التي ينظر إليها أو تبدو كأنها انتصار أو يبدو أنها تحمل شعورًا بالنصر. تعريف النصر من الناحية العسكرية يتمثل بتحقيق أهداف الحرب. وفي غياب القدرة على الإشارة إلى تحقيق واضح للأهداف –وبقدر ما لا يمكن قياسها، فإن هذه النتيجة تكاد تكون متأصلة تقريبًا– فإن الاتجاه سيكُون تأطير الإنجازات التكتيكية على أساس أنها انتصارات أو قريبة جدًّا منها. ومن هذا النمط، على سبيل المثال، نشأت الحاجة إلى الإبلاغ عن عدد الإرهابيين الذين قتلوا، وعدد هجمات القوات الجوية، وعدد كتائب العدو التي دمرت تدميرًا شبه كامل. غير أن هذه التقارير لا تولد بالضرورة شعورًا بالإنجاز أو النصر، بل إنه مشكوك في مصداقيتها، إذ من الواضح للجمهور أن ذِكر عدد محدَّد للإرهابيين الذين قتلوا أمر غير قابل للتصديق، لأنه من المستحيل حساب ذلك بدقة، خاصة في الواقع الذي يوجد فيه العديد من الضحايا في أنفاق غزة تحت

الأرض. بالإضافة إلى ذلك، فإن أعداد الإصابات التي يتكبدها العدو تفقد معناها وأهميتها تدريجيًّا، لأن للخسائر في صفوف قوات جيش الدفاع الإسرائيلي –مثلما حدث عندما قتل 21 جنديًّا في انفجار مبانٍ قرب الحدود– تأثير أكبر بكثير، إذ إنها هي التي تؤثر على المزاج العام للشعب الإسرائيلي. ما يخلق شعورًا باليأس لدى الجمهور. كما أن الأرقام المذكورة، مثل هجمات القوات الجوية، لا تثير شعورًا بالإنجاز بل بالإحباط، نظرًا إلى أنه يُنظر إلى هذه الهجمات على أنها ذات تأثير ضئيل لمثل هذا الجهد الكبير. وتذكرنا هذه القضايا بـ"عدد الجثث" الأمريكيين في حرب فيتنام، والتي لم تنجح في تغيير شعور الأمريكيين بالفشل في تلك الحرب.

إضافةً إلى ذلك، حتى لو تحقق النصر العسكري، فقد لا يكون تحقيقه مصحوبًا بالضرورة بتصور النصر، وثمة قلق كبير من ألا يكون الأمر كذلك. ولهذا الأمر أهمية كبيرة، إذ إن تحقيق تصور النصر حاسم ويكاد يكون في أهمية تحقيق النصر نفسه لعدة أسباب: أولًا، على الصعيد الداخلي وفي سياق الحرب الحالية، فإن تصور النصر أمر بالغ الأهمية كي نتمكن من إعادة سكان النقب الغربي (وبالتوازي، سكان الشمال) إلى مستوطناتهم؛ ثانيًا، إن إرساء شعور واضح النصر، وخاصة في سياق هذه الحرب التي بدأت بفشل ذريع ملحوظ، أمر بالغ الأهمية أيضًا لكيّ وعي النصر لدى العدو وإقناعه بانتصارنا. إن لم يتحقق ذلك، سيكون من الصعب، بل من المستحيل، استعادة قدرات الردع لدى جيش الدفاع الإسرائيلي، التي انهارت في السابع من تشرين الأول/أكتوبر. وهذا التحدي بالغ الأهمية، الذي ينطبق على "حماس"، ينطبق أيضًا على بقية أعداء إسرائيل الذين يراقبون عن كثب تقدُّم الحملة العسكرية في قطاع غزة وتطوُّر الحرب وأداء الجيش الإسرائيلي وإنجازاته هناك. إضافةً على ذلك، فإن تنمية الشعور بالنصر وصورته مهم أيضًا وبمثابة المفتاح لاستعادة ثقة الجمهور في جيش الدفاع الإسرائيلي، التي تضررت بشدة في السابع من تشرين الأول/أكتوبر. إن للشعور بالنصر معنى أيضًا فيما يتعلق بالتماسك الاجتماعي الإسرائيلي وتعزيز المرونة الاجتماعية لإسرائيل، نظرًا إلى الضرر الجسيم الذي خلَّفته أحداث السابع من تشرين الأول/أكتوبر.

إن تحقيق تصور للنصر في الحملة الحالية سيكون صعبًا بشكل خاص، بسبب الضربة القاسية التي تلقَّتها إسرائيل في بدايتها، والتي دفعت قطاعاتٍ كبيرةً من الجمهور إلى الاعتقاد بأن النصر في الحملة غير ممكن نظرًا إلى الطريقة التي بدأت بها الحرب. وانعكس هذا التصور في الاستطلاع الذي أجراه "INSS" في 3 كانون الأول/ديسمبر، إذ أشار 41.9% من المستطلعة آراؤهم إلى أنهم يوافقون إلى حد ما أو يوافقون إلى حد كبير على الادعاء القائل بأنه في ضوء ما حدث في 7 تشرين الأول/أكتوبر، لا يوجد ثمة سيناريو من شأنه أن يشكِّل انتصارًا (انظر الشكل 6).

الشكل 6: هل توافق أو لا توافق على الادعاء بأنه بالنظر إلى أحداث 7 أكتوبر، لا يوجد حاليًّا سيناريو يمكن عَدُّه انتصارًا في الحرب؟

نتائج مسوح السيوف الحديدية

هل تتفق أو لا تتفق على الادعاء بأنه بالنظر إلى أحداث 7 أكتوبر لا يوجد حاليًّا سيناريو يمكن عَدُّه انتصارًا في الحرب؟

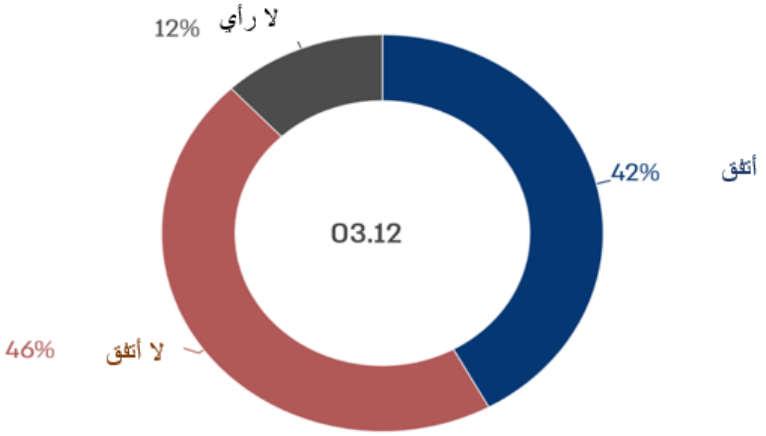

إضافةً إلى ذلك، ولَّدت نقطةُ انطلاق الحملة الحالية أيضًا حاجةً ورغبةً في الانتقام بين قطاعات من الجمهور الإسرائيلي، ما أدى إلى تحديد أهداف وغايات ليست غير واقعية فحسب، بل غير مقبولة أيضًا بموجب القانون الدولي أو العالمي، ولم تحظَ إسرائيل بدعم دولي، وفقدت الرأي العام الذي تحتاج إلى دعمه. وعلى هذا النحو، فقد لا تعتقد هذه الشرائح من الجمهور أن النصر قد تحقق، ومن المرجح ألا يكون لدى هذه القطاعات من الجمهور شعور بالنصر، حتى لو انتهت الحرب بإنجاز عسكري كبير لإسرائيل.

كما تلقي مسألة إعادة المختطفين بظلالها الثقيلة على تصور النصر وإمكانية تحقيقه في الحملة الحالية. ومع مرور الوقت، وإعلان وفاة المزيد والمزيد من المختطفين، فمن الواضح أنه سيكون من الصعب بشكل متزايد إقناع الجمهور بأن عودتهم جثثًا سيمثِّل إنجازًا كبيرًا أو مهمًّا، وهو أمر ضروري لخلق تصور بالنصر. إضافةً إلى ذلك، فمن المرجح على نحو متزايد أن إطلاق سراح عدد كبير من المختطفين –إن حدث– لن يكون نتيجة لعملية عسكرية، بل نتيجة صفقة تُبرَم بين إسرائيل و"حماس". لكن من المتوقع أن تتضمن مثل هذه الصفقة تنازلاتٍ كبيرةً وسخيةً من جانب إسرائيل، ما يزيد من صعوبة "بيعها" للجمهور الإسرائيلي على أنها إنجاز يشكِّل نصرًا.

تتمثل إحدى الإستراتيجيات لتحقيق مفهوم النصر وتعزيز الشعور بالانتصار بجلب "صورة النصر" إلى الوعي وتنميته، وهي تستحق المناقشة، ويجب مناقشة السؤال الأساسي حول ما إذا كان من المناسب تحديد ذلك بوصفه هدفًا. في بعض الأحيان، تتطابق صورتا النصر المتصورة والفعلية، لكن ثمة خشية من أن السعي وراء صورة النصر، التي يُنظر إليها

بوصفها شرطًا ضروريًّا لتصور النصر، قد يدفع صنَّاع القرار إلى إطالة أمد الحملة دون داعٍ من خلال الجهود العسكرية والدبلوماسية على حد سواء. وقد يضر هذا بالمراعاة السليمة للتوازن بين الاحتياجات المختلفة، على سبيل المثال من خلال التسبب في تحركات عسكرية خاطئة مضللة تحت الضغط لإنتاج مثل هذه الصورة. إضافةً إلى ذلك، إن صعوبة تحديد الوزن الذي ينبغي منحُه للتوقعات العامة وللرغبة في تلبية المطالب الشعبية بدقة، والتي غالبًا ما يساء فهمها، تؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة بشأن تحديد موعد إنهاء القتال أو الانتقال إلى مراحله التالية.

إن التصور الخارجي للنصر مهم للغاية ولا ينبغي إغفاله ولا يمكن التقليل من أهميته. سيكون للتصور الخارجي للنصر تأثير كبير على قدرة الردع لدى جيش الدفاع الإسرائيلي، ولا سيما في ظل الواقع الأمني المتمثل بإمكانية فتح جبهة إضافية في وقت واحد غير تلك التي في قطاع غزة. على الرغم من أن استعادة قدرة الردع ليست أمرًا مهمًّا، وأن القتال في غزة ليس هدفًا رسميًّا للحملة، فقد حُدِّد بوصفِه أحد الأهداف الرسمية للحملة، وإن تصريحات كبار المسؤولين الإسرائيليين أشارت إلى أن القتال في غزة بمثابة رادع، لكن مما لا شك فيه، أن القتال في غزة يهدف أيضًا إلى التوضيح للعدو، أي عدو، أن مهاجمة دولة إسرائيل ومواطنيها والضرر الذي يلحق بهما، وخاصة الضرر الكبير الذي حدث في 7 تشرين الأول/أكتوبر، سيؤدي إلى عواقب وخيمة وإلى تحصيل أثمان باهظة. وليس عبثًا أن يردد المتحدثون الإسرائيليون ويؤكدون مرارًا وتكرارًا أنه إذا هاجم "حزب الله" إسرائيل، فإن مصير لبنان سيكون نفس مصير قطاع غزة. وإن إنهاء الحملة في القطاع، أو حتى مرحلتها القتالية العنيفة الحرجة، عندما يكون التصور العام أن جيش الدفاع الإسرائيلي قد هُزم، قد يكون مشكلة بهذا المعنى أيضًا ويؤدي إلى تآكل قدرة الردع الإسرائيلية ويضعفها بشكل كبير.

خلاصة

إن مفهوم النصر في الصراع الحديث مفهوم نقدي حاسم ومراوغ على حد سواء، وفي الوقت ذاته قابل للنقاش. ما يثير الجدل بين الممارسين والجمهور العام على حد سواء، وغالبًا ما يتضمن هذا النقاش مناقشة لها جوانب سياسية حول تكييف المفاهيم القديمة التقليدية للحرب –منذ أيام الحروب "الكبيرة" ضد عدو الدولة المصممة أصلًا لحرب واسعة النطاق مع الفواعل من الدول– مع الحروب غير المتكافئة و"الحرب بين الناس" ضد المنظمات الإرهابية.

الحرب في قطاع غزة حالة متطرفة: أهدافها لا خلاف عليها وغير مشكوك فيها، بل إن الجدل العام بين الجمهور يتركز حول طريقة إدارة الحرب والشكوك المتزايدة في إمكانية تحقيق الأهداف، بل وحتى عدم تحقيقها. هذا إلى جانب الشعور بأنه، نظرًا إلى الحدث المؤلم الذي أدى إلى اندلاعها، لن يكون من الممكن الفوز في هذه الحرب. إن الخطاب السياسي السلس من أفواه المسؤولين الذين من الواضح أنهم سيتحملون المسؤولية وسيحاسبون على أحداث 7 تشرين الأول/أكتوبر، والحقيقة المثيرة للجدل بشأن أنهم ما يزالون في مناصبهم، يزيدان من الصعوبة ويؤديان إلى تفاقم الأمر.

تُظهر استطلاعات الرأي، التي أجراها معهد دراسات الأمن القومي "INSS" منذ بداية الحرب، تآكلَ شعور الجمهور بالإنجاز مع استمرار الحرب، مع تزايد القلق من "أننا لن ننتصر في الحرب". سيؤثر هذا الشعور المتزايد بالهزيمة على الشعور الشخصي للأمن الشخصي لدى الناس وستكون له عواقب وخيمة. يسلط التركيز المكثف على قضية المختطفين الضوء على معضلة أوسع، إذ ترتبط في هذا السياق بحقيقة أنه في حين يُنظر إلى الحرب على نطاق واسع على أنها مبررة، يكاد يكون التحدي المتمثل بتعريف النصر فيها وسبل تحقيقه بمثابة اختبار أخلاقي للمجتمع والجمهور الإسرائيلي.

في ظل هذه الظروف، ثمة حاجة إلى قيادة تتسم بالشفافية والصدق وتقول الحقيقة، وتقدِّم إلى الجمهور الحقائق والبدائل والخيارات التي اتخذت بوضوح وصدق وأمانة. وتُظهر استطلاعات الرأي صورة واضحة مفادها أن القيادة السياسية القائمة لا تتمتع بالثقة الشعبية اللازمة، إذ تكشف انعدام ثقة الجمهور في القيادة السياسية الحالية، وأن التصريحات البليغة عن "النصر المطلق" لا تؤدي إلا إلى تفاقم هذا الافتقار إلى الثقة. وتثير هذه الحالةُ مخاوفَ من أن إمكانية تحقيق تصور للنصر في الحرب وشعور به –وهو ما يُعَدُّ حاسمًا وأساسيًّا لوجودنا هنا في نظر أغلبية الجمهور– قد تتلاشى.

برنامج الرصد والتوثيق

مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيجي

4-4-2024م